

تفسير البغوي

172 - قوله تعالى { الذين استجابوا لله والرسول } الآية وذلك أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا : لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ؟ ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب العدو ويريه من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصاة منهم مع ما بهم من الجرح يومنا بالأمس فكلمة جابر بن عبد الله فقال : يا رسول الله ﷺ إن أبي كان قد خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك على نفسي في الجهاد مع رسول الله ﷺ فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه .

وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم فينصرفوا .

فخرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا Bهم حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال .

وروي عن عائشة B أنها قالت لعبد الله بن الزبير : يا بن أختي أما والله إن أباك وجدك - تعني أبا بكر والزبير - لمن الذين قال الله ﷻ فيهم : { الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح } فمر برسول الله ﷺ معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خراعة - مسلمهم وكافرهم - عيبة نصح رسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله تعالى كان قد أعفأك منهم ثم خرج من عند رسول الله ﷺ حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا : لقد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد أجمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال : فإني والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا : .

(كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرذ الأبابل) .

فذكر أبياتا فرد ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومر به ركب من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة قال : (ولم ؟ قالوا : نريد الميرة) قال : فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا إذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة وممر الركب برسول الله ﷺ وهو الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ وأصحابه : حسبا ﷺ ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الثالثة هذا قول أكثر المفسرين .

وقال مجاهد و عكرمة : نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبا سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف قال : يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل إن شئت فقال رسول الله ﷺ : ذلك بيننا وبينك إن شاء الله ﷻ فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم ألقى الله ﷻ الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان : يا نعيم إني قد واعدت محمدا وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي أن لا أخرج إليها / وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم وأعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الإبل أضعها لك على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها قال : فجاء سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد : أضمن لي هذه القلائص وأنطلق إلى محمد وأثبطه ؟ قال : نعم فخرج نعيم حتى أتى المدينة / فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : واعدنا أبو سفيان بموسم بدر الصغرى أن نقتتل لها : بئس الرأي رأيتم أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا الشريد فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله ﷻ لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي فأما الجبان فإنه رجع وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال وقال : حسبا ﷻ ونعم الوكيل .

فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسألوهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون أن يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون : حسبا ﷻ ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام رسول الله ﷺ ببدر ينتظر أبا سفيان وقد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فلم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحدا من المشركين ووافقوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى : { الذين استجابوا لله والرسول } أي أجابوا ومحل { الذين } خفض على صفة المؤمنين تقديره :

إن لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين ۝ والرسول { من بعد ما أصابهم القرح } أي : (نالتهم الجراح) تم الكلام ها هنا ثم ابتداء فقال : { للذين أحسنوا منهم } بطاعة رسول
A ۝ وإجابته إلى الغزو { واتقوا } معصيته { أجر عظيم }